آفاق وسياقات
تشرين الأوّل ٢٠٢٤ / العدد ١ – ص. ٨٠-٩٠

الاعتقاد ضمن السياق المؤسّسيّ
النهج الفلسفيّ في مؤسّسات الإيمان

مرغريت الأسمر بو عون

حائزة درجة الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ وجامعة القديس يوسف في بيروت عام ٢٠٢١. أستاذة باحثة في فلسفة الدين في كلية العلوم الدينية في جامعة القديس يوسف في بيروت.

خلاصة

يستكشف هذا المقال الفلسفيّ مفهوم الاعتقاد في الإطار المؤسّسيّ، مع التركيز على الجوانب الفلسفيّة لمؤسّسات الاعتقاد أو الإيمان. يتناول الجزء الأوّل فهم جوهر المؤسّسات العقائديّة، ودراسة كيفيّة تشكيل هذه الهياكل المنظّمة وتوجيه المعتقدات الفرديّة داخل المجتمع. ويتناول الجزء الثاني كيفيّة التلاعب بالمعتقدات داخل هذه المؤسّسات، مع تسليط الضوء على الآليّات والقضايا المرتبطة بإدارة المعتقدات الجماعيّة من خلال أمثلة واقعيّة.

كلمات مفتاحيّة

الاعتقاد – مؤسّسة الإيمان – الخطاب الدينيّ والسياسيّ – الدين – فلسفة الدين.

Résumé

Cet essai philosophique explore le concept de croyance dans un contexte institutionnel, en se concentrant sur les aspects philosophiques des institutions de croyance ou de foi. La première partie s'attache à comprendre l'essence des institutions de croyance, en examinant comment ces structures organisées façonnent et guident les croyances individuelles au sein de la société. La deuxième partie examine comment les croyances sont manipulées au sein de ces institutions, en mettant en évidence les mécanismes et les problèmes associés à la gestion collective des croyances à l'aide d'exemples concrets.

Mots-clés

Croyance – institution de la foi – discours religieux et politique – religion – philosophie de la religion.

لطالما حاول البشر تفسير دينهم وإيمانهم ومعتقدهم، ولكنّ الفلاسفة هم الذين طوّروا الفكر نحو مبدأ تمييز المفاهيم. وقد سمح هذا النهج المتَّبَع في المفاهيم الدينيّة بدراسة الظاهرة الدينيّة. فما الهدف من دراسة الظاهرة الدينيّة في السياق المؤسّسيّ؟

في الوقت الحاضر، وعلى الرغم من تداول بعض التعابير والمصطلحات المفرطة عن المعتقدات التي تُعبّر عن التطرّف الدينيّ والراديكاليّة والتعصّب، لا يمكننا إنكار وطأة موجة الكفر وعدم التديّن التي تسود المجتمع. وقد أثار بعض السياسيّين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، بعد فيبير وغوشيه، «استياءَ العالم»[١]، وشجّع سادة الشكّ الثلاثة – كما يسمّيهم ريكور– البشر على تحرير أنفسهم من الدين واكتساب النضج الكافي بحيث لا يعودون بحاجة إلى الإيمان[٢]. وأدّى تقدّم العلم أيضًا دورًا في هذا السخط على الدين من خلال جعل الإنسان يعتقد أنّه سيحرّر نفسه من معتقداته. أمّا بشأن النقاش حول مفهوم «اللادين» – الذي غالبًا ما يتمّ الخلط بينه وبين الكفر – فبعضهم يتحدّث عن عودة الدين، في حين يرى آخرون أنّ الإنسان لطالما كان متديّنًا وهو لن يتمكّن أبدًا من التخلّص من الدين، حتّى لو اختلف محتوى معتقداته عن مضمون الأديان الراسخة وابتعدت ممارساته عن أشكال المعتقدات المعروفة.

وهكذا، تسمح لنا دراسة الظاهرة الدينيّة بفهم جوهر مؤسّسات الاعتقاد أو الإيمان مثل الدين.

فهم جوهر مؤسّسات الإيمان

يتمّ تنظيم المجتمع بحيث يلبّي حاجاتِ الإنسان، والنتيجة هي نشوء المؤسّسة. هذه المؤسّسة يمكن أن تكون دينيّة أو سياسيّة أو غير ذلك. والدين هو إحدى المؤسّسات المهمّة الموجودة في أيّ مجتمع. يلاحظ بول ريكور[٣] أنّ الدين لا يقدّم المقدرة على الفهم، بل

(١) Le désenchantement du monde.

(٢) دعا ماركس المجتمع إلى التخلّص من وهم الدين الذي يخفي الواقع، وأعلن فرويد أنّ المرور إلى مرحلة البلوغ يُجنّب من العُصاب الدينيّ، وادّعى نيتشه أنّ موت الله جعل الإنسان يهتمّ بنفسه.

(٣) Ricœur P., « Une herméneutique philosophique de la religion : Kant (1992) », dans *Lectures 3 : Aux frontières de la philosophie,* Paris, Seuil, 1994, p. 28-33.

يقترح «عمليّة» تتناسب مع ثلاثيّة: التمثيل (représentation) والمعتقد (croyance) والمؤسّسة (institution)، وبالتالي، يعتبر أنّ الإنسان يحتاج إلى أن يكرّمَ الله من خلال عبادته. ويُسمّى هذا «العقيدة القانونيّة» أو «دين العبادة». لا يمكن فصل مفهوم الإيمان عن مفهوم «بعده الكنسيّ»، أو بوجهٍ أعمّ، عن بعده المؤسّسيّ، لأنّ الإيمان هو إيمان قانونيّ لا ينفصم. ويؤكّد ريكور أنّ «ما تضيفه المؤسّسة إلى الاعتقاد، هو ما تسمّيه آنّا آرنت «مساحة عامّة للظهور» (espace public d'apparition)»؛ إنّه التعبير الرمزيّ عن مؤسّسة الإيمان، والإيمان بسلطة مؤسّسيّة موجود في كلّ مؤسّسة.

في نظر ماكس فيبير، إنّ المؤسّسة التي يمكن أن يكوّنَها أيُّ تجمّع سياسيّ، الدولة، على سبيل المثال، تستخدم العنف بطريقة شرعيّة لتسيطر على الأفراد(٤). فيوافق هؤلاء الأفراد على الخضوع للسلطة لثلاثة أسباب هي «الأسس الثلاثة التي تقوم عليها الشرعيّة» والتي تتوافق مع ثلاثة أنواع من السلطة: الأولى هي «سلطة الأمس الأبديّ»، المُشَرَّعة بالذاكرة أو«العادة»: «تلك هي «السلطة التقليديّة» التي مارسها البطريرك أو سيّد الأرض سابقًا». والثانية تقوم على «النعمة الشخصيّة والاستثنائيّة التي يتمتّع بها الفرد (الكاريزما)» وتتميّز بـ«تفاني» الرعايا وثقتهم بـ«الشخص الواحد» الذي يُعَدُّ «بطلًا» بفضل صفاته القياديّة الرائعة والمثاليّة: «هذا هو سلطان الكاريزما الذي مارسه النبيّ، أو – في المجال السياسيّ – أمير الحرب المنتخب، أو صاحب السيادة المشهود له، أو الديماغوجيّ العظيم، أو زعيم الحزب». السلطة الثالثة تقوم على «الشرعيّة»، «الاعتقاد بشرعيّة الوضع القانونيّ»، وبعبارة أخرى، تقوم هذه السلطة على مسألة الطاعة للقواعد: «هذا هو السلطان الذي يمارسه «خادم الدولة الحديثة، وكذلك جميع أصحاب السلطة الذين يشبهون هذا النموذج»(٥). إنّ الإيمان بالسلطة الكاريزميّة يقتضي، وفقًا لفيبير، «مماثلة هويّة الشخص بقيم أو مبادئ، مثل النبيّ المتماثل مع الله أو السياسيّ مع الأمّة»(٦). إنّ هذا النوع من السلطة غير عقلانيّ لأنّه يعتمد على الولاء للقائد. ويمكننا الاستشهاد بعدّة أمثلة مأخوذة من الأحداث الجارية – لا سيّما أحداث الشرق الأوسط – التي تُبيّن بوضوح اختلاط معايير المؤسّسة السياسيّة ومعايير المؤسّسة الدينيّة. جمعت المؤرّخة الفرنسيّة كاترين مايور جاون أبحاثًا حول الشخصيّات الأيديولوجيّة للقدّيسين أو الأبطال أو

(٤) Weber M., *Wissenschaft als Beruf. Politik als Beruf (1919) Le savant et le politique,* J. Freund (trad.), Paris, Union générale d'éditions, 1963, p. 101.

(٥) *Ibid.,* p. 102.

(٦) Capelle P., « Laïcité et autorité », Transversalités, N° 108, no 4, 2008, p. 57.

الشهداء[٧]. ومن الأمثلة التي قدّمتها في كتابها: أتاتورك في تركيا وموسى الصدر في إيران، سياسيّان يُعَدُّ كلاهما «قدّيسًا» في نظر أتباعهما الذين يمجّدونهما ويعبدونهما. كما أنّ شخصيّة مار شربل في لبنان، بدورها، تتّخذ صورة البطل والمخلّص في عيون المؤمنين الموارنة الذين يعتقدون أنّه سيغيّر بلدهم. وبذلك يصير البطل شهيدًا ويصير القدّيس بطلًا، بحيث يصبحُ مستحيلًا إجراء دراسة عن القداسة تخلو من أيّ إشارة إلى أبطال السياسة. ترى الباحثة أنّ «القدّيس، مثل البطل، ولكن بمرونة أكثر، يتّخذ وجوهًا عديدة ويصوّر نفسه تمامًا كما يحبّه أتباعُه، ويستخدم السياسة والإعلام ليفرض سلطته وجاذبيّته»[٨]. إنّه لَتكيُّفٌ ناجح للعبادات ولصور القداسة مع العالم الجديد والمتغيّر. في الشرق الأوسط الذي يعاني باستمرار، يحتاج الناس إلى الإيمان والأمل في أن يتمكّن قدّيسُهم من حمايتهم أو أن يكون زعيمُهم السياسيّ قادرًا على إنقاذهم، ليتمكّنوا يومًا ما من العيش في سلام. تكشف هذه الأمثلة كيف يمكن تبجيلُ السلطة الكاريزميّة وعبادتُها، سواء كانت دينيّة أو سياسيّة. والممارسات الدينيّة مثل الصلاة، والعبادة، والطقوس ... هي جزءٌ من عمليّة تبجيل القدّيس أو الشهيد أو السياسيّ. وبالتالي، تصبح صورة شخصيّة السلطة مزيجًا من الإسقاطات الديموقراطيّة، والمقدّسة، والمخلِّصة، والمحرّرة، إلى آخره. وبما أنّ المقدّس والسياسيّ لا ينفصلان، فإنّ المجتمع العاطفيّ يكرّس نفسَه لزعيمه. يُضاف إلى ذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية والاستقرار السياسيّ التي تعزِّزُ الحاجة إلى الإيمان وتأثير هذا الإيمان في صورة السلطة.

نستنتج من خلال هذا البحث أنّ السلطة تعاني اليوم من الضعف والوهن. وينتج من ذلك عواقب في داخل المؤسّسة، بل أيضًا في المجال العامّ، كما توضّح آرنت:

> السلطة كما عرفناها في السابق (...) لم يُعَد تأسيسُها بأيّ شكل من الأشكال (...) إنّ العيش في ميدان سياسيّ بدون سلطة وبدون معرفة أنّ مصدر السلطة يتجاوز السلطة بذاتها وأولئك الذين هم في السلطة، يعني أن يجد المرء نفسه في مواجهة جديدة مع المشاكل الأوّليّة التي تعترض العيش المشترك، وهو فاقدُ الثقة الدينيّة ببداية مقدّسة أوّلًا، وحماية قواعد السلوك التقليديّة المسلّم بها ثانيًا.[٩]

(٧) Mayeur-Jaouen C. (éd.), *Saints et héros du Moyen-Orient contemporain : actes du colloque des 11 et 12 décembre 2000, Institut universitaire de France,* Paris, Maisonneuve et Larose, 2002, p. 8.

(٨) *Ibid.,* p. 34.

(٩) « Authority as we once knew it, which grew out of the Roman experience of foundation and was understood in the light of Greek political philosophy, has nowhere been re-established, either through revolutions or through the even less promising means of restoration, and least of all through the conservative moods and trends which occasionally sweep public opinion. For to live in

إنّ ضعف السلطة بشكلها التقليديّ يُبطل السلطة التمثيليّة الجديدة لأنّها تُعَدُّ غير متسامية ولأنّها غير قادرة على حماية معايير العيش المشترك والحفاظ عليها. تكمن المشكلة الرئيسة الناتجة من ذلك في صعوبة العيش المشترك لدى البشر ضمن جماعة. وهي صعوبة تتماشى مع عدم الثقة بمصدر موثوق.

تقدّم أزمة السلطة وأزمة الاعتقاد مزيجًا لمعايير السياسة والدين. هذه المعايير هي السلطة نفسها والعقيدة والاعتقاد. وقد اتّضح أنّ السياسة تندرج تحت سلطة أساسيّة لم تعد تتمتّع بها طبيعيًّا، بل إنّ ضعفها يعزّز الاعتقاد الذي له الأسبقيّة على المواطنة والعلاقة بالحقوق والواجبات، والدين بات يشبه المؤسّسة السياسيّة إذ خفّت أهميّتُه، وتزعزعت بُنيتُه، وضعفت سلطته ومبدأ الاعتقاد به وفيه. وتشمل مؤسّسات عقائديّة أخرى أيضًا معايير الدين والسياسة وهي دليل حيّ على هذا المزيج.

في مواجهة هذا المزيج والتعقيد، يبقى واقع الإنسان الباحث عن الإيمان بالسلطة كما هو. ولكن «كثُرت الأشياء التي يجب الاعتقاد بها»(١٠) و«المصداقيّة» هي الضحيّة. إنّ الاعتقاد، الذي كان له مصدران تقليديّان – الدين والسياسة – موجود الآن في كلّ مكان: في مجال التسويق، كما في المؤسّسات، والجمعيّات، وما إلى ذلك. ومن هذا تولد سلطة الاعتقاد... فماذا عن التلاعب أو التحكّم في المعتقد داخل المؤسّسات التي تحتضن الإيمان وتروّج له؟

التحكُّم في المعتقد داخل مؤسّسات الإيمان

يسبق الاعتقاد كلّ شرعيّة ويقيم المؤسّسة، ممّا يمكّن الزعيم بالتالي من أن يلجأ إلى سلطته بهدف «حثّ الناس على الاعتقاد، من خلال جعل أعضاء المؤسّسة السياسيّة يؤمنون بقيم ومبادئ معيّنة. فإنّ الهدف الذي تسعى إليه السلطة إذًا هو بلا شكّ أن تُخضِعَ الناس». و«الحاجة إلى القانون الأخلاقيّ» – التي يسمّيها الفلاسفة الآخرون الحاجة إلى الطاعة – تسمح للسلطة بفرض سُلطتها والتحكُّم في حاجات الناس البشريّة لتحقيق هدفها. فالمؤسّسة تُشغِّلُ الاعتقاد في خدمة أنشطة تراقبُها بحجّة «خدمة» الشعب. إنّها تعتمد مبدأ الإجبار.

---

a political realm with neither authority nor the concomitant awareness that the source of authority transcends power and those who are in power, means to be confronted anew, without the religious trust in a sacred beginning and without the protection of traditional and therefore self-evident standards of behavior, by the elementary problems of human living-together. » Arendt H., *Between past and future; eight exercises in political thought (1954),* New York, Viking Press, 1968, p. 141.

(١٠) De Certeau M., *L'invention du quotidien (Tome 1) : Arts de faire,* Paris, Union générale d'édition, 1980, p. 302.

فتجعل الناس يعتقدون ويؤمنون بما تريده هي بل ويتصرّفون على هذا الأساس بحيث يجري انتقال من الاعتقاد إلى الحثّ والتحفيز على الاعتقاد بل الحثّ أو التحفيز على الفعل. وهناك من يمثّلون هذه المؤسّسات وعليهم تستندُ الآمال والتوقّعات.

يمثّل كلٌّ من العالِم والسياسيّ والكاهن، تلك المؤسّسات، وهم يلقون «خطابًا» خياليًّا لغتُه مغرية جذّابة، بل «ذات مصداقيّة»، يوجَّه إلى الناس الذين يحتاجون إلى الاعتقاد أنّ هؤلاء الممثّلين سيجلبون لهم حلولًا سحريّة. فيتكلّم العالِم بصفته صاحب سلطة، باسم عقيدة، بأسلوب يسمح له بإغواء المؤمنين والأتباع والممارسين والتحكّم فيهم وجذبهم. ويخاطر العالِم بالابتعاد عن الصرامة، والسياسيّ عن واجباته، والكاهن عن مهمّته ... الكلام وسيلة خطيرة يمكن استخدامها لإرضاء المؤمنين وضمان «مصداقيّة الخطاب» من خلال ادّعاء تلبية حاجاتهم ومتطلّباتهم، بهدف حثّهم على القيام بما يريدونه منهم، «فيجعلونهم يفعلون» شيئًا محدّدًا. وكما أنّ الإيمان يعني العمل، فإنّ «الإيمان» يعني أيضًا «القيام بعملٍ محدّد».

من هنا يتمّ التعبير عن الاعتقاد، ليس في الأفعال وحسب، ولكن أيضًا في الكلمات التي تُقال. فالصلاة أو العقيدة، أو النشيد الوطنيّ أو النشيد الأولمبيّ، أو أيّ نشيد رياضيّ آخر، هي من مظاهر الإيمان. ولكن غالبًا ما يُلقيها الناس ولو كانوا في العمق غير مقتنعين ولا مؤمنين بما يقولونه؛ إنّهم بكلّ بساطة يتلون تلك الكلمات تلاوةً فارغة من باب العادة والتقليد اللّذين عهدوهما دائمًا، ورغبةً في الحفاظ على الطقوس التي تُبقيهم داخل المجتمع الذي نموا فيه. وفي ما يلي بعض الأمثلة الحيّة.

أمثلة

في لبنان، كما هو الحال في معظم البلدان العربيّة، على الرغم من بداية ظهور الأحزاب الجديدة التي تجمع بين المواطنين العلمانيّين أو اللاأدريّين أو المتنوّعين دينيًّا، لا تزال الأحزاب السياسيّة «التقليديّة» الرئيسة، التي نشأت على أساس الدين، مترسّخة بعمق في المجتمع اللبنانيّ[١١]. تلجأ هذه الأحزاب السياسيّة إلى الخطابات الدينيّة بغية جذب أتباعها من خلال زرع الخوف في عقولهم، بحيث يخشونَ أن يُباد مجتمعهم. ويدفع الأسلوب التحكّميّ هذا اللبنانيّين إلى التصويت للشخصيّات السياسيّة التقليديّة التي ورثت سلطتها من السلَف، والتي تقطع الوعود نفسها التي قطعتها عائلاتُهم من قبل، وهي: الدفاع عن الحقوق

(١١) Fakih L., « Une révolution est-elle possible au Liban ? », *Politique étrangère,* no 2, 4 juin 2020, p. 185-196.

وتحرير الجماعة الدينيّة[١٢]. وهكذا يتمّ تسييس الدين والسياسة الطائفيّة بوجهٍ واضح. إنّ التعبير عن الإيمان والحثّ على الإيمان داخل هذه المؤسّسات يؤكّد تصنيفها. يتمّ تعزيز النظام القائم من خلال التلقين العقائديّ، وهذا واضح في غياب معالجة التاريخ اللبنانيّ في الكتب المدرسيّة منذ العام ١٩٧٥، وهو التاريخ الذي يمثّل بداية الحرب. تشهد المظاهرات القديمة الفاشلة وثورة ٢٠١٩ على إرادة الشعب اللبنانيّ في وضع حدّ للفساد والزبائنيّة والتحرّر من تلاعُب الشخصيّات الطائفيّة البطوليّة بالناس. في الواقع، أظهرت الدراسات أنّ «الممارسات الزبائنيّة تؤدّي إلى انتشار الفساد على جميع المستويات. ففي العام ٢٠١٩، احتلّ لبنان المرتبة ١٣٨ من أصل ١٨٠ في ترتيب الدول الأكثر فسادًا».[١٣] بعد أن اجتذبتهم الحركة الثوريّة، فقدَ العديد من اللبنانيّين حماسَهم بعد بضعة أشهر. وفي غياب شخصيّات بطوليّة جديدة غير تقليديّة، وبسبب الخطب الكاذبة للسياسيّين التي تُبَثّ باستمرار، تغلّبَ الاعتقادُ الزائف على الشكّ وخيبة الأمل. بالإضافة إلى ذلك، أدّت المصاعب الاقتصاديّة والتضخّم والبطالة والفقر، إلى تزايد عدم الاستقرار والقلق بشأن مستقبل غير مؤكّد منه، وإلى انعدام الأمن الذي تفاقم بسبب انتشار جائحة كوفيد-١٩. وقد دفع هذا الوضع غير المستقرّ بعض اللبنانيّين إلى العودة إلى «حظيرة» حزبهم السياسيّ التقليديّ أو شخصيّة حزبهم الطائفيّ الرمزيّة، في حين كانوا أنفسُهم قد طالبوا قبل بضعة أشهر بإلغاء الطائفيّة واستقلال القضاء والشفافيّة الاقتصادية ومحاكمة السياسيّين. إنّ حاجة اللبنانيّين إلى الإيمان قويّة جدًّا في لحظات الضيق والكرب والخوف، لدرجة أنّها تدفعهم إلى التعلّق مرّة أخرى بشخصيّة الشهيد أو البطل أو القدّيس، وإيكال كلّ توقّعاتهم عليه؛ باختصار، ينسبون إليه رسالة المخلّص. بالتالي تكثر العبادات المسيحيّة والإسلاميّة، ويستأنف القدّيسون عمل المعجزات وتُستأنف عبادتهم بقوّة ... وبدلًا من اعتبار النائب أو الوزير مسؤولًا حكوميًّا يتقاضى أجرًا مقابل قيامه بمهمّة محدّدة، على سبيل المثال: إدارة البلاد، أو تجهيز الأرضيّات أو تشغيل النظام القضائيّ بطريقة أخلاقيّة، لا يَسَع المواطن اللبنانيّ إلّا أن يؤمن بهذا النائب أو الوزير، وبالتالي يمنحه مكانة الأب الآمن الذي سينقذه ويلبّي له حاجاتِه.

ومن بين الأمثلة التي توضّح مسألة العبادة التي تُحيط الحزب السياسيّ بهالتها، يذكرُ الفيلسوف والعالم السياسيّ ريموند آرون الشيوعيّة في أفيون المثقّفين، ويعرّفها بأنّها

(١٢) Mermier F. et Mervin S. (éd.), *Leaders et partisans au Liban,* Paris, Karthala, 2012.

(١٣) Selon Transparency International, Fakih L., « Une révolution est-elle possible au Liban ? », *op. cit.,* § 12.

«أيديولوجيا حوّلتها عبادةُ الحزب، والمدرسة التفسيريّة التي تتلاعب بها الدولة الثوريّة، والتعليم والتدريب الذي يُعطى للمناضلين، إلى دوغماتيّة من الكلمات والأفعال».[١٤] يُقارَن أعضاءُ الحزب بالمؤمنين الذين يريدون أن يخدموا: «بدافع التفاني، وبدافع روح التضحية». ثمّ يُبنى الحزب كدين حيث «لا يؤمن الرعايا بالماديّة، بل يريدون أن يخدموا». ليس كلّ نشطاء الحزب «مؤمنين حقيقيّين». وكما هو الحال في الكنيسة حيث نجد جميع أنواع المؤمنين، كذلك في الحزب السياسيّ، هناك مَن يتسلّمون القيادة، وهناك الملتزمون والنشطون، بعبارة أخرى الممارسون، وهناك مَن هم منشغلون في نشاطاتٍ أخرى، ولكن يحتفظون في داخلهم بإيمان الكنيسة أو بآراء الحزب؛ وأخيرًا، هناك مَن يطبّقون ما هو مطلوب، ويكرّرون ما يسمعونه، من دون طرح الأسئلة.

في أوروبّا، تصبح الشيوعيّة – التي تدّعي أنّها ملحدة – مؤسّسة دينيّة رغمًا عنها. وبما أنّ الاعتقاد–الإيمان – أو الإيمان – يؤدّي دورًا أساسيًّا بين نشطاء الأحزاب السياسيّة، فإنّه يصبح دافعهم الأساسيّ. يسمّي آرون ذلك أيضًا «الإيمان الشيوعيّ». إنّه «لا يختلف عن الرأي السياسيّ الاقتصاديّ إلّا عن طريق التعنّت». في الواقع، الشيوعيّة عند آرون هي طريقة للسعي إلى استبدال المسيحيّة من خلال اتّباع مثال الدين المسيحيّ، ولكن بغياب التساهُل والتسامُح. إنّها إذًا «بديلٌ في أيديولوجيا أقيمت كعقيدة الدولة». يتمّ إغراء الكاثوليك بالإيديولوجيا الماركسيّة لأنّها تذكّرهم بالمؤمنين الأوائل بالمسيح، ولكن أيضًا لأنّ إيمانهم المسيحيّ «يتعاطف» مع الأضعف ألا وهم العمّال والبروليتاريّون.

وفيما يتعلّق بفرنسا اليوم، يؤكّد ريجيس دوبري عودة «الهويّات الطائفيّة والإقليميّة والثقافيّة والعرقيّة». كما يقول إنّه إذا اختفى موضوع المعتقد السياسيّ، فسنبحث عن بديل له لأنّ الإنسان يحتاج إلى[١٥] الاعتقاد، ويحتاج إلى الوهم؛ «يمكن أن يستمرّ الوهم على الرغم من عمل العقل النقديّ، ما دام يستجيب لحاجةٍ أساسيّة»[١٦] وإذ يستند على مثال الأمّة الفرنسيّة، ثمّ على مثال أوروبّا التي، وفقًا له، لا يزال الأوروبيّون يرغبون في الإيمان بها، يؤكّد أنّ الحياة السياسيّة ليست سوى «سلسلة من خيبات الأمل، التي تؤاسي نفسها في كلّ مرّة

(١٤) Aron R., *L'opium des intellectuels,* Paris, Gallimard, 1968, p. 367-375.

(١٥) Debray R. et Gauchet M., « Du religieux, de sa permanence et de la possibilité d'en sortir », *Le Débat,* no 127, 2003, p. 3-17.

(١٦) Debray R., Geffré C. et Vinson E., *Avec ou sans Dieu ? Le philosophe et le théologien,* Paris, Bayard, 2006, p. 129.

بأوهام أخرى»، وأنّ «الحاجة إلى الإيمان» هي شرط بديهيّ للتواجد معًا». إنّ هذا الكلام، ولو كان ملائمًا تمامًا للالتزام السياسيّ، يمكن تطبيقه على أيّ مؤسّسة. ففي الواقع، مهما كانت المؤسّسة التي ينتمي إليها أيّ عضو، فإنّه يعيد تنظيم معتقداته بعد أن يشكّك فيها. ومع ذلك، فإنّ خيبة الأمل هذه لا تصيبُ الكلّ، وإلّا فإنّ المؤسّسة، التي أساسها الاعتقاد، يصبح مصيرها السقوط.

في الولايات المتّحدة، يعتمدُ الخطابُ السياسيّ أسلوبًا دينيًّا. على سبيل المثال، إنّ الرئيس الأميركيّ رونالد ريغان، في خطاب الوداع الذي ألقاه في العام ١٩٨٩، شبّه أميركا بمدينة قويّة «باركها الله». وفي الوقت نفسه، لجأ جورج دبليو بوش إلى العديد من الإشارات الدينيّة في خطاباته، كاشفًا عن «الدور المتنامي والمتغيّر للدّين في السياسة»، مُعلنًا بذلك «البُعد المسيحانيّ (messianique) لأميركا في وعي المسيحيّين الدينيّ»(١٧). إنّ هذا التنوُّع يجذب الأميركيّين ويؤثّر في معتقداتهم وسلوكيّاتهم، بل وفي تصويتهم.

تلك كانت بعض الأمثلة عن تشبّث المؤسّسات بمعتقداتها وتحكُّمها في المعتقد من أجل ترسيخ سلطتها وتأثيرها في الشعوب.

خاتمة

إنّ التحكّم في المعتقد أسلوبٌ موجود في جميع المؤسّسات، ولكنّه واضح بوجهٍ خاصّ في المؤسّسة السياسيّة. والمؤيّدون الذين يتمّ التحكّم فيهم والتلاعب بهم في معتقداتهم قد يدركون هذه الحقيقة، وقد لا يدركونها. تُستَخدَم أساليب وتقنيّات مختلفة للتلاعب بالمعتقدات، مثل الإقناع، وتأثير الرأي العامّ، واختلاق الأوهام، بغية إزعاج أتباع هذه المؤسّسة السياسيّة وبالتالي تشجيعهم على الإيمان أكثر بالقائد المحرّر. وفي عمليّة التلاعب والتحكّم هذه، يكون الإعلام ضروريًّا، وغالبًا ما يمرّ عبر الرأي العامّ. يتمّ توصيل محتوى المعتقدات من خلال وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعيّ، بحيث يؤمن المواطن أو الداعم أو المؤمن بالطقوس ويلتزم بها ويتبعها ويطبّقها. يصوّت ويلتزم. ومن ناحية أخرى، يستفيد كلٌّ من قطاع الاقتصاد والمؤسّسة؛ ففي التسويق مثلًا، هناك وسيلة تصيب الهدف، بحيث تُعَدَّل صورة المنتج، سواء أكانت ماديّة أم لا، بطريقة سريعة وفعّالة إلى حدٍّ ما. يعتقد الجمهور المستهدف ما تريد المؤسّسة أن يؤمن به. اللوحات الإعلانيّة والشبكات الاجتماعيّة

(١٧) Mitri T., *Au nom de la Bible, au nom de l'Amérique,* Genève, Labor et Fides, 2004, p. 17.

والقنوات التلفزيونيّة ... الجميع ينسجمون ويطيعون السلطة التي تهدف إلى شيء واحد وهو أن يؤمن الناس بالصورة المطلوبة ويتصرّفوا على هذا الأساس. عندما يبتعد الإيمان عن شرعيّته، يمكن أن يصير خرافة أو وهمًا، إلّا أنّ أتباع هذا الإيمان، إذ يبحثون عن الإيمان دومًا، يجدون حاجتهم مُلبّاة.

إنّ المؤسَّسة، من خلال حثّها الأتباعَ على اعتقاد زائف، تجبرهم على إطاعتها، حتّى إنّها تشرّع المضمون الجديد لهذا الاعتقاد، بهدف السيطرة وحماية سُلطتها. وقد يصل بها الأمر إلى تبرير الحرب والعنف والعنصريّة، كونها أسباب التطرّف السياسيّ الدينيّ. في نطاق الأيديولوجيّات، يستخدم القادة المهيمنون «أنماطًا من الذاتيّة – الاستيعاب أو القهر أو المقاومة – لجذب «المسيطَر [١٨]عليهم». إنّ الرأي العامّ الذي هو هدف العديد من المؤسّسات، هو أداة فعّالة تؤدّي إلى معتقدات كثيرة. إنّه التلقين الذي يختبئ وراء حجّة «تثقيف الرأي العامّ» [١٩] الذي لا يمكن إلّا التلاعب به ولا يستند إلى حجج عقلانيّة ولا إلى حقائق علميّة. منذ عقد على الأقلّ، يمثّلُ هدف المتحكّمين في الإيمان، أي عمالقة العالم الرقميّ مثل أمازون وفيسبوك. تهدف الخوارزميّات التي تستخدمها القوى السياسيّة والاقتصاديّة العظمى إلى جعل مستخدميها يصدّقون العديد من المعلومات. فلأغراض ماليّة وسياسيّة، تؤثّر في الرأي العامّ من خلال خلق التحيّزات والصور النمطيّة والمعتقدات بين مستخدميها من خلال المَكْر، فيتمّ تحميل كميّة هائلة من المعلومات غير المنضبطة كلّ مِلّي ثانية على الويب. إنّ التلاعب بالمستخدِمين واضح جدًّا، بحيث نرى سلوكهم يتغيّر اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا.

ويُستخدَم المَكر والحيلة في مجال الدعاية لاستهداف الرأي العامّ، فيصبح محتوى المعتقد لدى الناس معلومات آتية من وسائل الإعلام والإعلان والتمثيل السياسيّ. فأين هي مصداقيّة الموارد والمعلومات وصلاحيّتها؟ إنّ تربيةً جديدة يجب أن تواجه مبدأ التلقين، لأنّ الإنسان يؤمن للأسف بما نجعله يؤمن به، حتّى لو كانت المعلومات التي يتلقّنها متحيّزة، وحتّى لو كان له البرهان على عكس ما يُلَقَّن. فالإيمان حاجة، وقد طوّرتُ هذا المنهج في كتابي، عن ضرورة الإيمان.[٢٠]

(١٨) Revault d'Allonnes M., « Croyance, institutions et imaginaire social », dans A. Muxel (éd.), *Croire et faire croire : Usages politiques de la croyance,* Paris, Les Presses de Sciences Po, 2017, p. 25.

(١٩) Freund J., *L'Essence du politique,* Paris, Sirey, 1965, p. 395.

(٢٠) El Asmar Bou Aoun M., *Le besoin de croire,* Paris, Editions L'Harmattan, 2023.

مصادر ومراجع

- Arendt Hannah, *Between past and future ; eight exercises in political thought (1954),* New York, Viking Press, 1968.
- Aron Raymond, *L'opium des intellectuels,* Paris, Gallimard, 1968.
- Capelle Philippe, « Laïcité et autorité », *Transversalités*, N° 108, no 4, 2008, p. 55-67.
- De Certeau Michel, *L'invention du quotidien (Tome 1) : Arts de faire,* Paris, Union générale d'édition, 1980.
- Debray Régis et Marcel Gauchet, « Du religieux, de sa permanence et de la possibilité d'en sortir », *Le Débat,* no 127, 2003, p. 3-17.
- Debray Régis, Claude Geffré et Eric Vinson, *Avec ou sans Dieu ? Le philosophe et le théologien,* Paris, Bayard, 2006.
- El Asmar Bou Aoun Marguerite, *Le besoin de croire,* Paris, Éditions L'Harmattan, 2023.
- Fakih Lama, « Une révolution est-elle possible au Liban ? », *Politique étrangère,* no 2, 4 juin 2020, p. 185-196.
- Freund Julien, *L'Essence du politique,* Paris, Sirey, coll. « Philosophie politique », no 1, 1965.
- Mayeur-Jaouen Catherine (éd.), *Saints et héros du Moyen-Orient contemporain : actes du colloque des 11 et 12 décembre 2000, Institut universitaire de France,* Paris, Maisonneuve et Larose, 2002.
- Mermier Franck et Sabrina Mervin (éd.), *Leaders et partisans au Liban,* Paris, Karthala, coll. « Hommes et sociétés », 2012.
- Mitri Tarek, *Au nom de la Bible, au nom de l'Amérique,* Genève, Labor et Fides, 2004.
- Revault d'Allonnes Myriam, « Croyance, institutions et imaginaire social », dans Anne Muxel (éd.), *Croire et faire croire : Usages politiques de la croyance,* Paris, Les Presses de Sciences Po, 2017, p. 17-31.
- Ricœur Paul, « Une herméneutique philosophique de la religion : Kant (1992) », dans *Lectures 3 : Aux frontières de la philosophie,* Paris, Seuil, coll. « La couleur des idées », 1994, p. 19-40.
- Weber Max, *Wissenschaft als Beruf. Politik als Beruf (1919) Le savant et le politique,* Julien Freund (trad.), Paris, Union générale d'éditions, coll. « Le Monde en 10/18 », no 134, 1963.